مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٦/٣٨
الأحد ١٧ أيلول
الأحد بعد رفع الصليب
تذكار القديسة الشهيدة صوفيا وبناتها الثلاث بيستي والبيذي وأغابي
اللحن الخامس
إنجيل السَحَرْ الثالث

الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يـا إخـوةُ إذ نـعـلـمُ أنَّ الإنسانَ لا يُـبـرَّرُ بـأعـمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحنُ أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعـمـالِ الـنـامـوسِ إذ لا يُـبـرَّرُ بـأعـمـالِ الـنـامـوسِ أحدٌ من ذوي الجسدِ* فإنْ كـنّـا ونـحـنُ طـالِـبـونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجِدنا نـحـنُ أيـضـاً خـطـأةً أفـيـكـونُ الـمـسـيـحُ إذاً خـادِماً لـلخطيئة. حاشى* فإنّي إن عدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجـعـلُ نـفـسـي متعدِّياً* لأني بـالـنـاموسِ مُـتُّ للناموسِ لـكـي أحـيـا لـلـه* مـعَ الـمـسيحِ صُلبتُ فـأحـيـا لا أنـا بـل المسيحُ يـحـيـا فـيَّ. ومــا لـي من الـحـيـاةِ فـي الـجـسدِ أنـا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّـني وبذلَ نفسَهُ عني.

ملعون كل من علّق على خشبة

قال الرب في حديثه الأخير مع تلاميذه قبل الآلام الخلاصيَّة: «ليسَ لأحد حبٌّ أعظم من هذا أن يضعَ أحدٌ نفسه لأجلِ أحبائهِ» (يو ١٥:١٣). بهذا نفهم أنَّ شرط المحبَّة الوحيد هو بـذل الـذات مـن أجـل مَـنْ نـحب. والصورة الأهم والأوضح عن هذه المحبة هي أن اللـه المتجسد جعل ذاته لعنةً على الصليب من أجل أحبائه، من أجلنا نحن البشر، لأنَّـه هـكـذا هـو مـكـتـوبٌ فـي الناموس: «...لأنَّ المعلَّقَ (على خشبة) ملعون من الله» (راجع تثنية الاشتراع ٢١: ٢٢–٢٣). السؤال المطروح في بعض الأحيان: هل كان ضرورياً أن يتألم الله المتجسد على الصليب ويكون لعنةً لكي يصير الخلاص للإنسان؟ ألا يوجد حل آخر كأن يقول الله كلمة فنخلص؟ الجواب الواضِح والمقبول هو: لا!

يعلِّمنا الرسول يعقوب في رسالته الجامعة قائلاً «إن كان أخٌ وأختٌ عريانين ومعتازين للقوت اليومي فقال لهما أحدُكم أمضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تُعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة» (٢: ١٥–١٦). هذا شأن البشر بعلاقاتهم الإنسانية الماديَّة اليوميَّة. فإن التعبيرِ عن المحبة لا يكون بالقول، لأن المحبة لا تتحقّق إلاّ بالفعل، والله محبَّة. سرُّ المحبّة هو سر الشركة، لهذا نؤمن أنَّ الله محبَّة لأنه ثالوث. والمحبَّة الإلهيَّة هي حاجة الإنسان للخلاص من تسلُّط الموت عليه. وإذا ناقشنا الموضوع بطريقة سكولاستيكية (مدرسيَّة) نقول إنَّ اختيار الرب موت الصليب، أي أشنع وأبشع ميتة، جاعلاً ذاته لعنةً، هو بسبب حمله خطايا البشر أجمعين، من آدم حتى اليوم الأخير. ألم يسمِّ يوحنا المعمدان المسيح حمل الله الرافع خطايا العالم؟ فالصليب لعنة بسبب قسوة المجرمين وإجرامهم، أمَّا يسوع المسيح فلم يوجد في فمه غش، لذلك حوّل لعنة الصليب إلى بركة، وبهذا أصبح الصليب خشبة الخلاص الذي، إذا عاشه الإنسان في حياته نال الحياة الأبدية. عيش الصليب هو إنكار الذات، بمعنى أن يتخلَّى المؤمن عن كل ما يربطه بهذا العالم المادي ليرتفع نحو السماويات. لا يعني هذا الكلام أن لا نسعى لتأمين حاجاتنا اليومية، إنما أن يكون عقلنا واهتمامنا موجهين نحو السماء. ألا يردّد المرتل أثناء

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩:١)

قال الربُّ مَن أراد أن يتبعني فليكفُرْ بنفسهِ ويحملْ صليبَهُ ويتبعني. لأنَّ مَن أرادَ أن يُخلّصَ نفسَهُ يُهلكها ومَن أهلكَ نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيلِ يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الإنسانُ لو ربحَ العالمَ كلَّهُ وخسرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ يستحيي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجد أبيه معَ الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قوماً مِنَ القائمينَ ههنا لا يذوقونَ الموتَ حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّة.

تأمل

يقول البعض لقد مات المسيح معلّقاً على خشبة لذلك لا نستطيع أن نشاهد علامة الصليب والخشبة التي سمّر عليها. لكن كيف امّحى الصك الذي كتب علينا منذ المعصية بعد ان مدّ جدنا آدم يده على العود، كيف حصلنا من جديد على بركة الرب؟ كيف قضى المسيح على رؤساء وسلاطين الأرواح الشريرة ترتيل التسبيح الشيروبيمي في القداس الإلهي أن نطرح عنا كل اهتمام دنيوي كوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكل؟ وأيضاً الكاهن أثناء الكلام الجوهري، أن نضع قلوبنا فوق؟ هذا هو سر الصليب. فالعارضة الأفقيّة التي تؤلفه تدل على اقتناء المسيح لكل البشريَّة، وجمعه المتفرقات إلى اتحاد واحد. أمَّا العارضة العموديَّة فإلى الارتقاء من الأرضيات إلى السماويات، ومن الماديات إلى الروحيات.

لم يعد الصليب رمزاً للموت لأنه مرتبط بالقيامة. عبر الصليب أتانا المسيح بالقيامة. لهذا نرتل في عيد الصليب: لصليبكَ يا سيِّدنا نسجد، ولقيامتك المقدَّسة نمجِّد. وأيضاً: الصليب حافظ كل المسكونة... لأنَّه درعها، وجمال الكنيسة... لأنه يزيِّنها، وعزَّة الملوك... لأنَّه ينصرهم، وثبات المؤمنين... لأنَّه يعضدهم، ومجد الملائكة... لأنَّه يُحييهم، وجرح الشياطين... لأنَّه يبيدهم.

الصليب سر يجسِّد عشق الله لنا، ويمنح المؤمن تعزية. ومثال على ذلك القديس نكتاريوس العجائبي، أسقف المدن الخمس، الذي كان يسأل الله المعونة وهو جاثٍ تحت أقدام المصلوب عندما كان يُضطهد ظلماً. كان يقدِّم ذاته ذبيحةً أمام الذبيحة الحيَّة لاحتمال إساءة الناس له. وكما غسل المسيح خطايانا بالدم والماء الجاريين من جنبه الطاهر، غسل القديس نكتاريوس ذاته بدموع توبته وغفر لشاتميه بصلاته المُحبَّة الحارَّة. هكذا تعلّم من معلِّمه الذي غفر لصالبيه. الصليب مدرسة الخلاص ومن صلب ذاته عن العالم لُعن بسبب العالم، لكنَّه بهذا نال الحياة الأبديَّة. الصليب ليس زينةً يُعلَّق حول الأعناق على الصدور، وليس هو زينة يُعلَّقُ في الآذان، إنَّما تذكّر الذي أحبَّنا مجاناً حتى الصليب علّنا نقتدي بحياته الإلهية لنسمو نحو محبَّته في ملكوته السماوي، آمين.

الصليب

الصليبُ قد أُعطي لنا سمةً على جبهتنا، على نحو ما دُفعت الختانة لإسرائيل. والمؤمنون يتميّزون بواسطتها من غير المؤمنين فنعرفهم. وهو ترسٌ وسلاحٌ وفوزٌ ضدَّ إبليس، وهو ختمٌ كي لا يمسَّه مبيدُ الكلّ، كما يقول الكتاب. وهو نهوض الساقطين وسندُ الواقفين وعكّاز الضعفاء وعصا الرعاة وإرشاد المرتدّين وكمال الفائزين. وهو خلاصٌ للنفس والجسد، وتنقيةٌ من كل الشرور ومجلبةٌ لكلّ الخيرات، وإزالةُ الخطيئة ونبت القيامة وعودُ الحياة الأبدية.

إذاً يجب السجود للعود الكريم حقاً والمستحقّ الإكرام الذي قرَّب عليه المسيحُ ذاته مذبوحاً لأجلنا، وقد تقدّس بلمسه الجسدَ والدمَ الأقدسين. ويجب السجود أيضاً للمسامير والحربة وثيابه، ولمساكنه التي هي المذودُ والمغارةُ والجلجلةُ وقبرُه الخلاصيّ المحييّ ولصهيون أمّ الكنائس ولأمثالها، على ما يقولُ داود أبو المسيح إلهنا: «لندخل إلى مساكن الربّ ولنسجد لموطئ قدميه» (مز ١٣١:٧). والبرهان على أنه يعني بذلك الصليب يُؤخذ مما يأتي: «قم أيها الرب إلى راحتك» (مز ١٣١:٨)، لأن القيامة تتبع الصليب. فإذا كان الحبيب يحبُّ من محبوبه بيته وسريره ولباسه، فكم بالأحرى كثيراً يجب أن نحبَّ – من إلهنا ومخلّصنا – ما بواسطته صرنا مخلَّصين!

ونحن نسجد أيضاً لرسم الصليب الكريم المحيي ولو كان من مادة أخرى، لأننا لا نكرّم المادّة، حاشا! بل الرسمَ، على أنه رمزُ المسيح. وقد

الذين يهاجموننا منذ عود المعصية ومن الذي خذلها كاملاً وحرّرنا؟ كيف زال الحائط المتوسّط مع عداوة الله؟ كيف تصالحنا مع الله وحصلنا على سلامة؟ ألم يتمّ كل ذلك على الصليب وعن طريق عود الصليب؟ لنسمع ما يقوله بولس الرسول لأهل أفسس: «لأنه هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسّط أي العداوة... ويصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به» (أف ٢: ١٤ و١٦). كما يكتب إلى أهل كولسي: «وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف أجسادكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا إذ محا الصك الذي علينا في الأحكام التي كانت ضدّنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب» (٢:١٣-١٤).

أليس علينا إذاً أن نكرّم ونستعمل مثل هذه الغنيمة الإلهيّة الظافرة التي حرّرت جنس البشر بأسره. هذه الشارة التي بمجرّد رؤيتها تهرب الحيّة عنصر الشر وتتراجع مخذولة والتي تمجّد المسيح وتعظّمه مظهرة للناس غلبته؟

وإن افترضنا ان الصليب لا يستحق الثناء لأنه أصبح أداة لموت المسيح، هل يمكننا بعد ذلك أن نكرّم موت المسيح ونعتبره موتاً خلاصياً؟ كيف يقول عندئذ قال هو بوصيّته لتلاميذه: «وحينئذٍ تظهر علامةُ ابن البشر في السماء» (متى ٢٤: ٣٠) - دالاً بذلك على الصليب -. لذلك قال أيضاً ملاك القيامة للنسوة: «إنكنَّ تطلبنَّ يسوع الناصريّ المصلوب» (مر ١٦:٦)، لأنّ كثيرين هم الذين يتكنَّون بالمسيح وبيسوع، ولكنَّ المصلوب واحد. وهو لم يقل: المطعون بحربة بل المصلوبَ. وعليه يجب السجودَ لعلامة المسيح لأنه حيثما تكون العلامة يكون هو نفسه أيضاً. أمّا المادّة المعمول منها رسمُ الصليب، ذهباً كانت أو حجارة كريمة، فإذا حدث أن زالَ الرسم لا ينبغي لها السجود. وعليه فإننا نسجد لكل ما يُنسب لله، مركّزين عبادَتنا عليه.

إن عود الحياة - ذاك الذي قد غرسه الله في الفردوس - كان قد سبق ورمز إلى الصليب الكريم. فلمّا دخل الموت إلينا بالعود، وجبَ أن تُعطى لنا بالعود الحياة والقيامة. ويعقوب الأول لمّا سجد لرأس عصا يوسف قد صوَّر الصليب، ولما بارك ولدَيْه بيديه المتعارضتين رَسَمَ علامة الصليب رسماً جليًّا جداً. وإن عصا موسى - بضرب البحر بها في شكل صليب - أنقذت إسرائيل وغرّقت فرعون. وإنّ يديه المبسوطتين على شكل صليب قهرتا عماليق. والماء المرّ قد صار حلواً بالعود وانفلقت الصخرة وجرت منها المياه. وإن عصاً أيضاً قد احتفظت لهارون برئاسة الكهنوت. والحيّة لما رُفعت على عود وقد بدت مائتة، خلّص العود أولئك المؤمنين الناظرين إلى عدوّهم مائتاً. ذلك على مثال المسيح الذي لم يعرف خطيئة وقد سُمِّر بجسد الخطيئة. لذلك صرخ موسى العظيم قائلاً: «انظروا إلى حياتكم على عودٍ معلّقة تجاه أعينكم» (تثنية ٢٨:٦٦). وقال أشعيا: «بسَطتُ يديَّ النهار كله نحو شعبٍ عاصٍ يسلكون طريقاً غير صالح وراءَ أفكارهم» (أشعيا ٦٥:٢). أما نحن الساجدين له عسانا نحظى بالنصيب مع المسيح المصلوب!

القديس يوحنا الدمشقي

طقوس المعمودية

+ الميرون المقدس:

بعد تغطيس الطفل ثلاثاً في ماء المعمودية والباسه الحلَّة البيضاء يمسح الكاهن الطفل المعمَّد بالميرون المقدس في عدَّة أماكن من جسده، ويقول في كل مرَّة: «ختم موهبة الروح القدس». قبل المسح بالميرون يتلو الكاهن هذه الصلاة: «مبارك أنت أيها الرب الإله... (يا مَنْ) وهب لنا نحن غير المستحقين التنقية المغبوطة بالماء المقدس والتقديس الإلهي بالمسحة المحيية. يا مَن سُررت الآن أيضاً أن تجدِّد ميلاد عبدك المستنير جديداً بالماء والروح... أنت أيها السيد ملك الكل المتحنن امنحه أيضاً ختم موهبة روحك القدوس القادر على كل شيء والمسجود له وتناول جسد مسيحك المقدس ودمه الكريم. واحفظه في قداستك، وثبِّته في الإيمان المستقيم الرأي، ونجِّه من الشرير ومن جميع صنائعه، واحرس نفسه بخوفك الخلاصي في البر والطهارة، حتى إذا أرضاك في كل عمل وقول صار ابناً ووارثاً لملكوتك السماوي».

هذا الطقس يُسمَّى «سر الميرون المقدس»، وهو سر مستقل عن المعمودية ولكن غير منفصل عنها، كما ان العنصرة هي حدث مستقل عن القيامة ولكن غير منفصلة عنها إذ هي تحقيق لما تمَّ في القيامة. فإذا كانت المعمودية هي موتنا وقيامتنا مع المسيح فإن مسحة الميرون هي العنصرة الشخصية لكل واحد منا. قبل الصلب وفي اجتماعه الأخير مع تلاميذه في علية جبل الزيتون قال الرب لتلاميذه «إنَّهُ خيرٌ لكم أن

بولس إننا قد اعتمدنا في موته؟ وكيف لا نشترك بقيامته إن كنا قد أصبحنا متّحدين بموته؟ (رو ٦:٥). طبعاً إذا سجد أحد لعلامة صليب لا يحمل الإسم السيّدي يمكننا إذ ذاك أن نعتبر ذلك عملاً غير لائق لكن بما «ان كل ركبة تنحني لاسم يسوع المسيح ما في السماء وما على الأرض وما تحت الأرض» (في ٢:١٠) وبما ان هذا الاسم يحمله صليب المسيح نصبح جهلةً إذا لم نسجد لعلامة صليب المسيح.

نحن مع الركب نحني قلوبنا. لنسجد إذاً مع داود «في الموضع الذي فيه قامت قدماه» (مز ١٣١:٧)، حيث بسط يديه جامعاً الكون، حيث بسط جسده المحيي. عندما نسجد له ونقبّله بإيمان نستمدّ من هناك نعمة وقداسة. هكذا في الحضور الثاني المجيد لربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح نشاهد علامة الصليب تتقدَّم ببهجة، نتهلّل ونرقص بفرح لأننا نكون قد حظينا بالجلوس عن اليمين وبالصوت المبارك لمجد ابن الله المصلوب بالجسد لأجلنا.

لأنه له يليق المجد مع الآب الذي لا بدء له والروح الكلي قدسه الصالح والمحيي الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

القديس غريغوريوس بالاماس

أنطلِق. لأنَّهُ إنْ لم أنطلِقْ لا يأتيكُمُ المُعزِّي. ولكن إن ذهبتُ أُرسلهُ إليكم... وأمَّا متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقِّ فهو يُرشِدكم إلى جميعِ الحقِّ لأنَّهُ لا يتكلَّمُ من نفسهِ بل كُلُّ ما يسمعُ يتكلَّمُ بهِ ويُخبِركم بأمور آتية. ذاكَ يُمجِّدُني لأنَّهُ يأخُذُ مِمَّا لي وَيُخبِرُكُم» (يو ١٦: ٧، ١٣-١٤). هذا الوعد تحقّق في العنصرة وحلَّ الروح القدس على التلاميذ القديسين وتأسست الكنيسة. هنا أيضاً في المعمودية بعدما وُلدنا من جديد في الملكوت ولبسنا المسيح، ننال ختم موهبة الروح القدس لنُثبَّت أبناءً للملكوت، أبناءً لكنيسة المسيح المجيدة، ونصبح من رعية المسيح أو قطيعه. إنه الروح القدس الذي يثبتنا في إيماننا ويقودنا في مسيرتنا نحو الملكوت.

القديس أمبروسيوس يوضع ما يحصل في الميرون أثناء تفسيره لأشعياء ١١:١-٣ فيقول: «ان الختم الروحي أي الميرون يلي المعمودية لأنه بعد الولادة يجب أن يحصل الكمال. وهذا يتم عندما، باستدعاء الكاهن، ينحدر على المعتمد الروح القدس، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، روح مخافة الله». هذا يتفق مع قول القديس ديونيسيوس الأريوباغي: «ان مسحة التكميل بالميرون المقدس لمن استحق الولادة الثانية الكلي قدسه يمنحها حلول الروح القدس ذي العزة الإلهية». سر الميرون يقود القوى الروحية، المولودة داخل النفس بالمعمودية، إلى الكمال بفعل الروح القدس. هذا تماماً كما ان الروح القدس يوم العنصرة جعل نتائج حدث الصلب والقيامة تتحقق في الكنيسة وفي التلاميذ وفي المؤمنين بإبن الله.

الميرون هو ختم الروح القدس كما يقول الرسول بولس: «إذ آمنتم خُتِمتم بروحِ الموعدِ القدُّوسُ» (أف ١:١٣).

هذا الختم بحسب القديس ثيودورس المبسوستي «هو علامة بأنك أصبحت الآن نعجة في قطيع المسيح. كما ان النعجة إذا ما بيعت تُعطى علامة قطيع صاحبها، هكذا أنت أيضاً منحت ختم سيدك»، ختم يسوع المسيح. إنك الآن عضو من قطيعه، والميرون يطبعنا بطابع من يمتلكنا أي يسوع.

القديس غريغوريوس النيصصي يتحدَّث عن الختم انه «ضمانة حفظنا وعلامة ملكيتنا»: يحافظ على محتوانا الثمين ويدافع عنه، وبه نكون خاصة الآب ونُتخذ أبناءً له. به نصبح هياكل للروح القدس. هذا الختم هو علامة انضمامنا إلى معسكر يسوع المسيح، واننا صرنا جنوداً له وان معركتنا الأبدية هي مع الشرير وهو حافظنا في هذه المعركة.

بكلام بسيط، سر الميرون هو سر الحياة، بما أن الروح القدس هو معطي الحياة وهو امتداد العنصرة في الزمن والكنيسة، لأن الروح نفسه الذي نزل بهيئة ألسنة نارية على التلاميذ ينزل عبر مسحة زيت الميرون المقدس على المعمَّد. عبره نأخذ بالموهبة ما أخذه المسيح وحده بالطبيعة، أي الروح القدس الذي منحه الآب للإبن منذ الأزل، وحلَّ عليه في الأردن. عبره نصبح شركاء المسيح في مسحته.

المعمودية تفتح لنا أبواب الملكوت وتدخلنا إليه، والميرون يثبتنا ويختمنا على أننا أعضاء في هذا الملكوت وأبناءً لله بوضع علامة المسيح علينا وختمه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb